ملابسنا فى كتب اللغة [1]

— ٢ —

بقلم الأستاذ مصطفى السقا
المحرر بمجمع اللغة العربية الملكى

الدُّراعة : Chemisette المِدْرَعة : Jacquette المِدْرَع : Paletot

المخصص : الدراعة والمِدْرع : ضرب من الثياب ، وهى جبة مشقوقة المقدم . والمِدْرعة : ضرب آخر ، ولا يكون إلا من الصوف خاصة . وقد تدرعت مدرعتى .

اللسان : الدراعة والدرع : ضرب من الثياب التى تلبس ، وقيل جبة مشقوقة المقدم والمدرعة ضرب آخر . ولا تكون إلا من الصوف خاصة . وتدرع مدرعة وادرعها وتمدرعها .

التاج : والمِدرعة (كمكنسة) : ثوب كالدُّراعة ، ولا يكون إلا من صوف خاصة : قاله الليث . وقيل الدراعة : جبة مشقوقة المقدم . وأنشد أبو ليلى لبعض الأعراب :

يوما لخلاقى [2] ويوما للمال مشمراً يوما ويوما ذَيّال
مِدرعة يوما ويوما سربال

ومنه حديث أبى الدرداء رضى الله عنه : فوضأته وعليه مدرعة ضيقة الكم ، فاخرج يده من تحت المدرعة ، فتوضأ .

هذه ألفاظ ثلاثة مشتقة من مادة واحدة ، وقد نصوا فى المعاجم أنها مختلفة فى الصفة أو فى الصنعة ، ولكنا نظن أن الاختلاف بينها فى الصفة لا يعدو أن يكون

(١) راجع المقال الأول فى صحيفة دار العلوم ، العدد الرابع ، السنة الأولى الصفحات ٩٧ – ١٠٨ (٢) وفى رواية : لخلائى .

كالاختلاف فى الصنعة ، فهى تدل على ضروب من الملابس قريب بعضها من بعض فى الشبه ، ولما كانت المعاجم لم تشرح هذه الألفاظ الشرح الذى يحدد معناها بالدقة ، رأينا أن نلجأ إلى الاستنباط فى تعرف حقيقتها . وأول ما ننبه عليه أن المخصص واللسان قالا إن الدراعة والمدرع شىء واحد ، وأن المدرعة ضرب آخر ، أما شارح القاموس فقد تبع صاحب القاموس ، فأهمل المِدرع جملة ، وأحل محله المدرعة : وجعلها مساوية للدُّرَّاعة ، ولا ندرى أمن قبيل الغلط ذلك أم نقل صحيح انفرد به ؟ فاذا حملناه على الصحة خرجنا من البحث بأن الألفاظ الثلاثة متساوية المدلول ، ولم نعبأ بقول المخصص واللسان إن المدرعة ضرب آخر أى غير الدراعة والمِدرع . وعندنا بعد ذلك قولهم فى المدرعة (وقيل جبة مشقوقة المقدم) فهذا الوصف يقرب لنا معنى الكلمات الثلاث كثيراً ، ويضعها فى دائرة خاصة ، بعد أن كانت ضربا من الثياب غير معلوم الصفة ولا الهيئة ، فالجباب من الملابس المعروفة الباقية إلى عصرنا هذا . وهى من الملاحف التى تلبس فوق سائر الملابس . وقولهم (ولا تكون إلا من الصوف خاصة) صفة أخرى تساعد على اعتبار المدرعة وما ساواها من ألفاظ من الملابس الخارجية (الملاحف) التى تلبس للزينة أو لاتقاء البرد .

وغايتنا من هذا البحث أن ننتفع بهذه الألفاظ الثلاثة العربية العذبة ، فنطلقها على مشابه لها من أزيائنا التى استعرناها من الزى الأفرنجى . فنطلق الدراعة على ما يسمى (الشميزيت) وهو ملحف للنساء إلى نصف الجسم ، لكنا لا نعنى به المتخذ من الصوف خاصة ، وإنما نطلقه على ما يتخذ من الصوف وغيره كالحرير ونحوه .

ونطلق المِدرع على ما يسمى (البالطو) وهو أطول من الدراعة وقد يصل إلى الركب أو أسفل منها ، ولا نقصره على زى النساء ، وإنما يسمى به ما يلبسه الرجال من هذا النوع .

ونطلق المدرعة على (الجاكتة) وهى جبة مشقوقة المقدم من الصوف غالبا إلى نحو نصف الجسم أو تحته بقليل ، وهى من ملابس الرجال دون النساء .

وقد يشفع لهذا النحو من التخصيص الذى توخيناه فى الألفاظ الثلاثة مانجده من شبه قوى بين مدلولات (الشميزت والبالطو والجاكت) والدرع الزردية ، فان الألفاظ الثلاثة كأنها الدرع للابسها تقيه من آثار الأجواء كما تقى الدرع صاحبها من سهام الأعداء . هذا إلى ما بينها من شبه فى الصورة والهيئة ، فان من الدرع ما هو سابغ يغطى الجسم كله وذلك يشبه (البالطو) ومنها ما يكون قصيراً يقى البدن دون سائر الجسم . وهذا يشبه (الشميزت والجاكتة) .

وقد ذكر صاحب السعادة المرحوم أحمد تيمور باشا (الجاكتة) فى معجم العامية المصرية ، وقال إن المجمع العلمى العربى بدمشق وضع لها كلمة (الرداء) واستحسن هذا الوضع ، ثم ذكر لفظين آخرين يراد فان الجاكتة ، وهما الجُمّازة والنصفية ، وبعد ما أورد الشواهد الشعرية قال : تدل أبيات الجزار على أن نصفيته كانت من نسيج أبيض تغسل وتدق وتسقى بالنشا .

ثم قال : واللفظ صحيح وإن كان مولد الوضع ، وعدم وضوح المراد منه وضوحا شافيا غير مانع من إطلاقه على (الجكتة) إذا أردناه ، أو إطلاقه على (القميص الأفرنجى) لأنه يستر النصف ، ويغسل ويسقى بالنشا ويكوى كنصفية الجزار ، فنستغنى بكلمة عن كلمتين . اه

أقول إن التواضع والاصطلاح لامشاحة فيهما ، ولكنا نضع كل الألفاظ الصالحة بين يدى الجمهور . ليتخير منها ما يخف على السمع ، وما يعذب فى النطق .

السِّرْبال : (القميص الإفرنجى) Shirt

المفردات : السربال القميص من أى جنس كان .

النهاية : فى حديث عثمان : « لا أخلع سربالا سربلنيه الله » . السربال : القميص وكنى به عن الخلافة ، ويجمع على سرابيل . ومنه الحديث : النوائح عليهن سرابيل من قطران ، وقد تطلق السرابيل على الدروع . ومنه قصيدة كعب ابن زهير :

شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود فى الهيجا سرابيل

المصباح : السربال . ما يلبس من قميص أو درع ، والجمع سرابيل . وسربله السربال (فتسربله) بمعنى : ألبسته إياه فلبسه .

اللسان : السربال : القميص والدرع ، وقيل : كل ما لبس فهو سربال .

يفهم من هذه النصوص أن السربال يطلق على درع الحرب . وعلى القميص من أى نوع كان ، وعلى كل ما يلبس . والمعنى الثانى أظهر من الثالث لأنه يضع السربال فى قسم القُمُص ، أما المعنى الثالث فلا يجعله محدود المعنى ، ولا ظاهر المدلول .

ويمكن أن نعتبر السربال نوعا خاصا من القمصان ، هو ما نسميه : (القميص الإفرنجى) وإن كان فى الأصل صالحا لكل قميص . لأن شيوع اللفظ وعمومه يجعله غير صالح لناحية ما ، ولذلك لا يستعمل الأدباء والكتاب كلمة سربال وجمعها سرابيل مع خفتهما وعذوبتهما : لأن السربال بحسب ما ورد فى المعاجم لا يدل على شىء معين من ملابس الناس ، ونخشى إذا ظل هذا اللفظ على عمومه أن يطول أمد هجرانه ، فلا يرد على الأقلام والألسنة فى غير القرآن والشعر القديم .

أما إذا خصصناه بما يسمى الآن (القميص الإفرنجى) فقد ضمنا له حياة طويلة قوية : لأنه سيذكر كل يوم مئات المرات على ألسنة الناس وأقلامهم .

وقد يقول معترض إن هناك إبعادا فى تسمية القميص الإفرنجى سربالا فإن هذا القميص ملبس حديث لم يعرفه العرب ، فحرى ألا يكون له اسم فى لغتهم ، ونحن مع تسليمنا بهذا نرى أن كثيرا من الألفاظ كان لها دلالات خاصة عند الوضع الأول ، ثم نقلت فى عصور التاريخ من معنى إلى معنى على حسب الحاجة ، وباب المجاز باب قياسى مفتوح مابقيت العربية ، ونحسبنا أن السربال هو القميص فى جميع معاجم اللغة ، فإذا نقلناه من القميص العام إلى قميص خاص . لم يكن فى ذلك تكلف ولا إبعاد .

وفائدة ذلك أننا نستغنى بكلمة واحد . عن كلمتين . ليتيسر تداول اللفظ فى فصيح الكلام .

الطَّوْق - (الياقة = Col)

مختار الصحاح : الطوق : واحد الأطواق . وطوّقه فتطوق : أى ألبسه الطوق . والمطوقة : الحمامة التى فى عنقها طوق .

المصباح : وطوق كل شيء : ما استدار به ، ومنه قيل للحمامة ذات طوق .

اللسان : الطوق . حلى يجعل فى العنق ، وكل شيء استدار فهو طوق وقد طوقته فتطوق أى ألبسته الطوق فلبسه ؛ وقيل : الطوق ما استدار بالشيء ، والجمع أطواق والمطوقة : الحمامة التى فى عنقها طوق .

مفردات الراغب : أصل الطوق : ما يجعل فى العنق خلقة كطوق الحمام ، أو صنعة كطوق الذهب والفضة ، ويتوسع فيه ، فيقال طوقته كذا كقولك قلدته .

أقول : هذه النصوص تدل على أن الطوق شيء مستدير حول شيء ، وبعضها يدل على أن الطوق شيء يلبس حول العنق ، ومنه المثل : (شب عمرو عن الطوق) (١) ويقال للحمامة مطوقة وذات طوق . ونحن نستحسن أن نطلق كلمة الطوق على مانسميه فى هذا العصر (الياقة) وقد يسمى باسان الفرنجة (Col)

وقد سبق بعض الأدباء إلى تسمية (ياقة القميص) بالزيق : استنادا إلى نصوص المعاجم . قال فى اللسان . « وزيق القميص : ما أحاط بالعنق » .

ولا مانع أن تطلق كلمة الزيق فى هذا العصر على (الياقة) المخيطة فى القميص تكون عرض الإصبع تقريبا . أما (ياقة) القميص الافرنجى ، و (ياقة) الملابس الخارجية من نحو المِدْرع والمِدرعه فغير كلمة لها فى ظننا هى (الطوق) .

الأُرْبَة = المِعْنقه : Cravate

اللسان : الأُرْبة العقدة التى لا تنحل حتى تحل حلا . وقال ثعلب : الأربة العقدة ولم يخص بها التى لا تنحل .

---

(١) هو عمرو بن عدى ، وهذا المثل مشروح فى تاج العروس فارجع إليه.

والأربة : قلادة الكلب التى يقاد بها ، وكذلك الدابة .

الأساس : وتأربت العقدة : توثقت ، وأربتها : وثقتها .

القاموس : الأربة (بالضم) : العقدة ، أو التى لا تنحل حتى تحل . والقلادة .

القاموس : والمِعنقة (كمكنسة) : القلادة .

اللسان : والمِعنقة : قلادة توضع فى عنق الكلب ، وقد أعنقه : قلده إياها .

وفى التهذيب : والمعنقة : القلادة ولم يخصص .

هاتان الكلمتان العربيتان (الأربة والمعنقة) ظاهرتا المدلول ، وهما صالحتان للتعبير عما يسمى بلسان الفرنجة (Cravate) بطريق التشبيه لأن (الكرافات) من بعض الوجوه هو عقدة لا تنحل حتى تحل ، أو هو كالقلادة ، وكذلك المعنقة قيل فى شرحها إنها القلادة مطلقا . وقد سبق بعض الأدباء إلى وضع كلمة (الأربة) لهذا الذى يربط حول الرقبة فى الزى الأوربى ، ونحن لا نرى بذلك بأساً ، ونضيف إلى ذلك كلمة (المعنقة) التى عثرنا عليها فى قراءتنا الخاصة فى كتب اللغة . واللفظتان تكادان تتساويان فى نظرنا ، لأن لكل منهما فعلا من مادتهما ، كما أن لكل صيغة جمع قياسية ، فيسهل استعمالها وتصريفها فى أساليب الكلام . فانطلقها فى الاستعمال ، والزمان وحده كفيل ببقاء الأصلح للبقاء .

المِبْذَل = المبذلة : (Pyjama)

فقه اللغة : والمبذلة : ثوب يبتذله الرجل فى منزله .

الأساس : وخرج علينا فى مَباذله وفى ثياب بِذلته . والرجل يَتَبَذَّل فى منزله .

اللسان : قال ابن برّى : أنكر على بن حمزة مِبذلة ، وقال مِبذل بغير هاء ، وحكى غيره عن أبى زيد مبذلة . وقد قيل أيضاً ميدعة ومِعوَزة عن أبى زيد : لواحدة المودع والمعوز ، وهى الثياب والخُلْقان ، وكذلك المباذل ، وهى الثياب

التى تبتذل فى اللباس . ومِبذَل الرجل ومِيدَعه ومِعوزه : الثوب الذى يبتذله ويلبسه .

أقول : المبذل (على رأى على بن حمزة) والمبذلة (على رأى أبى زيد) تصلح لما نسميه اليوم (بيجاما) لأنها ثوب يلبسه الرجل و يبتذله فى منزله ، وهى من ملابس المترفين ولكن اللفظ صادق أيضاً (بالجلبية) التى لا يزال يلبسها أبناء البلد الذين لم يعنوا فى التشبه بأهل التمدين الحديث ، فإذا قصرناها على (البيجاما) ذات الشكل الخاص ، وهى مؤلفة من مدرعة وسراويل ، كان ذلك من قبيل تخصيص العام ببعض ما يصدق عليه . وهو مجاز مقبول .

وقد أطلق بعض (١) الكتاب المعاصرين على (البيجاما) كلمة منامة ، ولكنا نرى أن المنامة ليست من الثياب التى تلبس ، وإنما هى من الأغطية التى يتدثر بها فى النوم . قال الثعالبى فى فقه اللغة : المنامة والقرطف والقطيفة : ما يتدثر به من ثياب النوم .

وفى لسان العرب : والمنامة : ثوب ينام فيه ، وهو القطيفة . قال الكميت :

عليه المنامة ذات الفضول من القهز (٢) والقرطف (٣) المخمل

وقال آخر :

« لكل منامة هدب أصير »

أى متقارب .

فقد وصف المنامه بأنها ذات فضول وخمل متقارب ، وأحر بأن يكون المراد بهذه المنامة ما نسميه (البطانية) .

---

(١) هو صاحب العزة محمد كرد على بك عضو مجمع اللغة العربية الملكى ، وقد نشر جريدة ألفاظ فى الصحف العربية ، وفيها المنامة (البيجاما) .

(٢) فى اللسان : القهز والقهز والقهزى ضرب من الثياب تتخذ من صوف كالمرعزى .

(٣) وفى اللسان : القرطف : القطيفة المخملة . الأزهرى فى ترجمة قطف : القراطف فرش مخملة . وفى حديث النخعى فى قوله : (يا أيها المدثر) أنه كان متدثرا فى قرطف : هو القطيفة التى لها خمل .

الجُمازة = البدن = Jersey

المخصص : الجمازة : دراعة قصيرة من صوف .

النهاية : وفى الحديث أنه توضأ فضاق عن يديه كُمَّا جمازة كانت عليه . الجمازة : مدرعة صوف ضيقة الكمين .

التاج : الجمازة (بالضم) دراعة من صوف . وبه فسر الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فضاق عن يديه كما جمازة كانت عليه ، فأخرج يديه من تحتهما .

اللسان . البدن : شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط ، قصير الكمين . ابن سيده : البدن : الدرع القصيرة على قدر الجسد ، وقيل هى الدرع عامة . والجمع أبدان . وفى حديث مسح الخفين : فأخرج يده من تحت بدنه : استعار البدن هنا للجبة الصغيرة تشبيها بالدرع . ويحتمل أن يريد من أسفل بدن الجبة ، ويشهد له ما جاء فى الرواية الأخرى ، فأخرج يده من تحت البدن .

هذه النصوص فى مجموعها تدل على أن كلا من الجمازة والبدن ثوب قصير يغطى نصف الجسم ، كما تدل على أنه يكون من الصوف .

أما وجه الخلاف بينهما فأن الجمازة ضيقة الكمين ، والبدن قصير الكمين ، ومن هذه الصفات نستطيع أن نطلق الجمازة على ذلك القميص الصوفى الذى يكون مشقوق المقدم أحيانا وغير مشقوق أحيانا ، ويكون له كمان ضيقان ، وهو ما يسمى فى الانكليزية (Jersey) .

أما البدن فنطلقه على نوع آخر منه يكون بلا كمين .

وقد آثرنا أن نخصص كل نوع باسم لوجود لفظين فى اللغة العربية يؤديان هذين المعنيين . ولأن تخصيص كل نوع باسم من المطالب التى ندب إليها مجمع اللغة العربية الملكى لتقليل الاشتراك فى الألفاظ : لأن الاشتراك من أسباب الغموض فى كثير الأحيان .

الأُصْدَة = الأَصِيدة = المؤَصَّد :

Robette

اللسان : ابن سيده — الأصدة والأصيدة والمؤصد: صدار تلبسه الجارية، فإذا أدركت درعت . وأنشد ابن الأعرابى لكثير :

وقد درَّعوها وهى ذات مُؤَصَّد بجوب ولما تلبس الدِّرع ريدها

وقيل : الأصدة ثوب لا كمى له تلبسه العروس والجارية الصغيرة .

تاج العروس : الأصدة (بالضم) : قميص صغير للصغيرة ، وهى صدار تلبسه الجارية ، فإذا أدركت دُرِّعت ، أو يلبس تحت الثوب . . . وقال ثعلب : الأصدة : هى الصُدْرة . وقيل الأصدة : ثوب لا كمى له تلبسه العروس والجارية الصغيرة .

هذا بعض ماورد فى تفسير الأصدة وهى الأصيدة (كقصيدة) والمؤصد كمعظم أيضا . ونحن أميل إلى قبول التفسير الأخير الذى فى عبارتى اللسان والتاج ، فيجوز أن نطلق أحد هذه الألفاظ الثلاثة على الثوب القصير الذى لا كمى له تلبسه الصبيات ، وهو ما يسمى فى بعض اللغات الإفرنجية (Robette) وهو تصغير لكلمة (Robe) التى وضعنا لها فى المقال السابق كلمة دِرْع ، وعلى ذلك يكون معنى قول كثير المذكور آنفا :

وقد درعوها . . . . الخ أى إنهم ألبسوها الدرع وهو الثوب الذى تلبسه النساء (الجلبية) مع أنها لا تزال صغيرة لم يلبس ترْبها الدِّرع .

ولا يقدح فى هذا التخريج قولهم : (تلبسه العروس) فإن العروس إذ تكون فى الجلوة أن تكشف عن محاسنها ، وتبدى زينتها لعروسها ، فلا تجعل لثوبها كمين ، ولا تبالغ فى تطويل ذيله ، فيكون شأنها شأن الجارية الصغيرة التى تلبس قصير الثياب ومالا كمى له . هذا على اعتبار الأصدة من الملابس الخارجية

أما إذا اعتبرت من القمص والملابس الداخلية كما يفهم من قول صاحب التاج : (أو يلبس تحت الثوب) فان من شأن هذا النوع فى الغالب القصر وعدم الأكمام .

البَقير = البَقيرة (الحرْملة) = Pelerine

اللسان : والبَقير والبَقيرة : بُرْديشق فيلبس بلا كمين ولا جيب . وقيل هو الإتب . الأصمعى : البقيرة أن يؤخذ بردفيشق ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير جيب ولا كمين . والإتب : قميص لا كمين له تلبسه النساء .

أقول : تدل مادة البقر فى كتب اللغة على الشق ، والبقير والبقيرة : بُرْد مشقوقٌ ، فهما فعيل بمعنى مفعول . والبرد كما قال ابن سيده : ثوب فيه خطوط ، والبردة : كساء يلتحف به . وقيل إذا جعل الصوف شقة ولها هدب فهى بُرْدة . وجمعها بُرَد ، وهى الشمله المخططة .

وقول الأصمعى : أن يؤخذ برد الخ كالصريح فى أن المقصود بالبقيرة ما نسميه فى هذا العصر بلسان العامه (الحرملة) ، ويقابله فى بعض لغات الافرنج كلمة (Pelerine) .

أما قولهم إن البرد ثوب فيه خطوط ، فيحمل على أن الأصل فيه ذلك توسعا ، وعلى هذا لا يمتنع أن تكون البقيرة ذات لون واحد أسود أو غيره .

التُّبَّان = (لباس البحر) Culotte de Mer

النهاية : التُّبَّان سراويل صغير يستر العورة المغلظة فقط ، ويكثر لبسه الملاحون وأراد به ههنا السراويل الصغير ، ومنه حديث عمار أنه صلى فى تبان .

القاموس : التُّبان (كرمان) سراويل صغير يستر العورة المغلظة . واتبَن كافتعل : لبسه .

الاساس : ورأيت تبَّانا يَلبس تُبَّانا ، وهى سراويل صغيرة . وتبَّنه : ألبسه إياه .

اللسان : والتُّبَّان (بالضم والتشديد) : سراويل صغير مقدار شبر : يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين . . . وقيل — التبان : شبه السراويل الصغير

وفى حديث عمر : صلى رجل فى تُبّان وقميص ، تذكره العرب ، والجمع تَبَابين .

المصباح : التبان : فُعّال : شبه السراويل وجمعه تبابين . والعرب تذكره وتؤنثه ، قاله فى التهذيب .

يؤخذ من هذه النصوص أن إطلاق التبان على ما نسميه الآن (لباس البحر) سائغ لا اعتراض عليه ، فقد أجمعت نصوص الكتب عليه أنه سراويل بلا ساقين يستر العورة وحدها ، وزاد بعض الكتب أنه يكون للملاحين ، وفى النهاية (يكثر لبسه الملاحون) أى فلا مانع أن يلبسه غيرهم . ونسبة لبسه للملاحين قرينة على ان يلبس فى البحر ، وهذا ما أردناه من تخصيصه (بلباس البحر) وإن كان اللفظ فى الأصل عاما .

الدّقرار = الدقرارة = الدُّقرور = الدُّقرورة = Culotte

النهاية : وفى حديث عبد خير قال : رأيت على عمار دقرارة وقال إنى ممثون . الدقرارة : التبان ، وهو السراويل الصغير الذى يستر العورة وحدها . والممثون . الذى يشتكى مثانته .

المخصص : أبو عبيد : الدقرار : التبان . ابن دريد : وهو الدقرور .

التاج : والدقرارة : التبان ، كالدقرار بغير هاء ، وهى سراويل صغير بلا ساق يستر العورة وحدها . . . . والدقرارة يطلق ويراد به السراويل أيضا . كالدقرور والدقرورة بضمهما . . . . والجمع : الدقارير .

خلاصة هذه النصوص أن الألفاظ الأربعة تطلق على شيئين : التبان . وهو الذى خصصناه (بلباس البحر) ، والسراويل مطلقا . والذى نريده هنا أن نخصص هذه الألفاظ بالسراويل القصيرة التى لا ساق لها يلبسها النساء غالبا ، وقد يلبسها الرجال ، وهى غير التبان الذى يلبس عادة عند التجرد على شواطىء البحار . ويسمى هذا فى بعض اللغات الأوربية (Culotte) .

للبحث بقية

مصطفى السقا